معا على طريق التقدم والمساواة

مركز شؤون المرأة - غزة
Women's Affairs Center - Gaza

منذُ عشرينَ سنةً وهو يمارسُ العنفَ عليّ لأني اخترتُ مهنتي، كلُّ ما فعلتُهُ كان محاولةً لأن أكونَ نفسي فقطْ."

منذُ عشرينَ عامًا وزينبُ تعيشُ مأساةً، حيث أصبحَ شقيقُها يتعاملُ معها كأنها دميةٌ يستطيعُ التحكمَ بها كيفما يشاءُ دون حسيبٍ أو رقيبٍ، وحاولَ سابقًا إجبارَها على العملِ في التربيةِ والتعليمِ لكنها رفضتْ لحبِّها الشديدِ لمهنتِها التي اختارتْها.

عشرون عامًا في قبضةِ القهر

أصبحت بعضُ النساءِ أهدافًا سهلةً للعنفِ والسيطرةِ في مجتمعٍ يستمدُّ سلطتَهُ من القوةِ لا من العدالةِ، حتى عندما يحملنَ أحلامًا كبرى ويسعينَ لبناءِ مستقبلٍ مستقلٍّ، ومع كلِّ خطوةٍ تحاولُ فيها المرأةُ انتزاعَ حقِّها في الحياةِ، يخرجُ من يقفُ ضدَّها، مدفوعًا بالعاداتِ أو بالغيرةِ أو برغبةٍ في بسطِ الهيمنةِ، هكذا وجدتْ زينبُ نفسَها في دائرةٍ من العنفِ لا تنتهي، رغم إصرارِها على النجاحِ وتمسّكِها بمهنةٍ اختارتْها بقلبِها.

بدأتْ الآنسةُ زينبُ (٤٢ عامًا)، من سكانِ منطقةِ الجلاءِ غربَ مدينةِ غزةَ، معاناتَها قبل نحوَ عشرينَ عامًا حين اختارتْ العملَ في مجالِ الصحافةِ رغم معارضةِ أخيها الأكبرِ وزوجتِهِ، حيث تقيمُ معهما في منزلِهما برفقةِ والدتِها، بعد انفصالِ والدِها وزواجِهِ من ثلاثِ نساءٍ، وهي لا تمتلكُ استقلالًا ماليًا أو اجتماعيًا يمكنُ أن يخففَ من حجمِ الضغوطِ المفروضةِ عليها، فهي مثالٌ للتحدي أمام الصعابِ رغم الضربِ الجسديِّ الذي تتعرضُ لهُ.

منذُ بدايتِها، كانتْ رحلتُها المهنيةُ محفوفةً بالصداماتِ، واختيارُها لمهنةِ الصحافةِ كان الشرارةَ الأولى التي أشعلتْ الخلافاتِ داخل أسرتِها، إذ رأى شقيقُها الأكبرُ أن هذه المهنةَ تُخالفُ مفاهيمَهُ، ولجأَ إلى العنفِ الجسديِّ والنفسيِّ لإجبارِها على التراجعِ، رغم أن طريقَ النجاحِ كان رفيقَها منذُ أن اختارتْ مهنتَها، وقالتْ: "منذُ عشرينَ سنةً وهو يمارسُ العنفَ عليّ لأني اخترتُ مهنتي، كلُّ ما فعلتُهُ كان محاولةً لأن أكونَ نفسي فقطْ."

منذُ اندلاعِ الحربِ الإسرائيليةِ على قطاعِ غزةَ عامَ ٢٠٢٣ أُجبرتْ زينبُ على الجلوسِ في المنزلِ وعدمِ مراسلةِ الموقعِ الذي تعملُ لديهِ، بدافعِ الخوفِ عليها من الخطرِ، لكن السببَ الحقيقيَّ كان رغبةَ شقيقِها في السيطرةِ عليها بالكاملِ، وتحولتْ العلاقةُ داخل المنزلِ إلى سجنٍ يوميٍّ، إذ كان شقيقُها يعكسُ ضعفَهُ أمام زوجتِهِ بتعنيفِها، بينما تقفُ زوجتُهُ موقفَ الشماتةِ، لتبدأَ فصلًا جديدًا من المعاناةِ في ظلِّ ظروفٍ اجتماعيةٍ وسياسيةٍ أكثرَ تعقيدًا مما سبقَ "كنتُ أرى في عيونِها نظراتِ انتصارٍ، وكأنها تقولُ لي: تستحقينَ أكثرْ."

وما زاد الوضعَ سوءًا هو موقفُ والدتِها التي ساندتْ ابنَها، في ظلِّ تشابهِ زينبَ الكبيرِ مع والدِها المنفصلِ عنها، ويعيشُ مع زوجتِهِ الأخرى وأبنائِهِ، ما خلق غضبًا دفينًا لديها انعكسَ على سلوكِها تجاه ابنتِها.

تروي زينبُ تفاصيلَ أكثرَ قسوةً مما عاشتهُ: "شقيقي يعملُ في التربيةِ والتعليمِ، ويعاني من ضعفٍ جنسيٍّ، وكان خاضعًا لسيطرةِ زوجتِهِ، ما يجعلهُ يفجّرُ غضبَهُ فيّ، كما حاول مرارًا منعَ زواجي، ورفضَ كلَّ من تقدمَ لخطبتي دون أن يعلنَ السببَ، وعندما لجأتُ إلى أطباءِ نفسيينَ، تدخلَ وأقنعَهم بأنني مضطربةٌ نفسيًا، ليُحاصرَني بالعقاقيرِ المهدئةِ والمنومةِ."

وأضافتْ: "من سبعِ سنواتٍ حاولَ إجباري على الزواجِ من صاحبِهِ الذي لا يقلُّ سوءًا عنهُ، وجددَ طلبَهُ بالحربِ، قال لازمْ أتزوجْ علشانْ أغطي عليهِ، وليرضي زوجتَهُ اللي كانتْ تشدُّ شعري وتهينُني لإرغامي على القبولِ، ومع ذلك لا زلتُ أتمسكُ بقرارِ الرفضِ"، بينما يعكسُ شقيقُها ضعفَ شخصيتِهِ أمام زوجتِهِ عليها بالضربِ والإهانةِ والتحكمِ بكلِّ حركةٍ لها، فهي تتمتعُ بشخصيةٍ قويةٍ، ورأيُها وتحكمُها هو السائدُ في المنزلِ.

وفي فتراتِ النزوحِ المتكررةِ، كانتْ تُعاقبُ على أي محاولةٍ للخروجِ أو الاعتراضِ، بالضربِ أو بإجبارِها على تناولِ المهدئاتِ، قائلةً: "الحربُ زادتْ وضعي سوءًا، كان يضربُني ويهينُني كلَّ يومٍ."

حاولتْ زينبُ طلبَ المساعدةِ من المقربينَ، لكن الأمرَ كان يرتدُّ عليها بمزيدٍ من الإيذاءِ، كما لم تستطعْ الوصولَ إلى المؤسساتِ الحقوقيةِ أو النسويةِ بسبب منعِ شقيقِها لأي اختلاطٍ اجتماعيٍّ، خاصةً خلال الحربِ، وتستذكرُ بدموعٍ لا تخفي ألمَها: "أخوي حاولَ يتحرشُ فيّ خلال الحربِ، ووضعَ يديه على جسمي، ما شكلَ لدي صدمةً ما بقدرُ أنساها أكثرَ إيلامًا من الضربِ والإهانةِ."

نزحتْ جنوبًا وأقامتْ خيمةً مستقلةً بمفردِها لتأويَها بعد تعرضِها للضربِ المبرحِ بسبب رفضِها الزواجَ من صديقِهِ، لكنها خشيتْ من ردةِ فعلِ شقيقِها وزوجتِهِ، فعادتْ نهايةَ النهارِ إلى مدينةِ غزةَ، وتلقتْ مزيدًا من العقابِ، وعلى مدارِ عامينِ من الحربِ تعيشُ صراعًا داخليًا أثرَ على نفسيتِها بشكلٍ واضحٍ، فلا يوجدُ لديها قدرةٌ على تحملِ حياتِها تسيرُ بهذا الشكلِ القاهرِ للوجدانِ.

منذُ عشرينَ عامًا وزينبُ تعيشُ مأساةً، حيث أصبحَ شقيقُها يتعاملُ معها كأنها دميةٌ يستطيعُ التحكمَ بها كيفما يشاءُ دون حسيبٍ أو رقيبٍ، وحاولَ سابقًا إجبارَها على العملِ في التربيةِ والتعليمِ لكنها رفضتْ لحبِّها الشديدِ لمهنتِها التي اختارتْها، فكانتْ تنقلُ عبر وسائلِ الإعلامِ معاناةَ الفتياتِ اللاتي يعانينَ من العنفِ، وكأنها تكتبُ ما يجولُ بخاطرِها، وعما تعانيهِ من وضعٍ اجتماعيٍّ محاصرٍ.

تجدُ زينبُ نفسَها أمام حياةٍ مقيدةٍ من كلِّ الجهاتِ، محاصرةً في دائرةِ عنفٍ مستمرةٍ، لا تمتلكُ فيها صوتًا ولا مساحةً للهربِ، ومع ذلك، يبقى الأملُ الوحيدُ الذي تتمسكُ بهِ هو السفرُ، علّهُ يمنحُها فرصةً للنجاةِ من الظلامِ الذي تعيشُ فيهِ، لتبدأَ حياةً جديدةً بعيدًا عما عاشتهُ، ولتتنفسَ عبيرَ الحريةِ.

لتحميل تطبيق أمل للوصول إلى الخدمات

خط الإرشاد والمساندة المجاني
1800 333 666

لاستقبال التغذية الراجعة والشكاوي
Complain@wac.org.ps